

جلال الدين السيوطي*

إضاءات تحليلية في سيرته

د. عبد الإله نبهان

وسمت هذا البحث بجلال الدين السيوطي : إضاءات تحليلية في سيرته ، وكانت النية متجهة الى انشاء بحث بعنوان (السيوطي في الميزان) ولكنني رأيت العنوان الثاني أجدر بكتاب ، فعدلت عنه الى العنوان الأول ، لا لأتحدث عن سيرة السيوطي ، فهذا أمر نهض به السيوطي نفسه (١) ، وكتبه عنه غيره (٢) ، كما أنه سبق لي أن كتبت في الموضوع المذكور وحمت حوله في أكثر من موضع (٣) ، ولكن لأتحدث عن أهم العوامل الموجهة لمسيرة السيوطي في سيرة حياته ، بدءاً من طفولته ووفاته أبيه ، وانتهاء بتصدره للتدريس والتصنيف وادعائه الاجتهاد وتجديد أمر الدين ، ولأضع اليد على مفتاح هذه الشخصية التي شغلت وما زالت وستشغل بأثارها عشرات الباحثين ، وقد نيل بتحقيق آثارها ودراستها عدد كبير من رسائل الماجستير والدكتوراه *

كُفَع جلال الدين الى طلب العلم منذ البدايات الأولى ، فقد ذكر أنه عندما توفي والده كان له من العمر خمس سنين وسبعة أشهر ، وكان قد وصل في حفظه القرآن الكريم الى سورة التحريم (٤) ، وتولاه أصحاب أبيه ، وهم من علماء العصر - بعنايتهم ، فقد طلبه كمال الدين بن الهمام (٥) بعد وفاة أبيه وقرره في وظيفة أبيه بالشيخوخة (٦) ، وكان والد السيوطي مدرساً للفقهاء بالجامع الشيعوني ، وهكذا تحدد مسار الفتى قبل أن يملك ارادة التوجه أو حرية الاختيار ، وأسعفته في هذه السبيل ذاكرة قوية وحافظة نادرة ،

(*) قدم هذا البحث اني ندوة السيوطي في جامعة مؤتة بترك بالاردن ٤-٦/١٠/١٩٩٤ .

وهما مما يقوِّي الثقة ويعززها بالنفس ، ومما يُمنح صاحبها شعوراً بالتفوق على الآخرين ، خاصة أن التحصيل آنذاك كان المعوّل فيه على الذاكرة ، زد على ذلك أن الفتى طبع على الدأب والمثابرة ، وأوتي جلدأً وصبراً ، فلم يتسلل الملل الى نفسه ، ولم تصرفه صوارف الحياة وشواغلها عما هو فيه .

وكان ذكر والده الشيخ أبي بكر ، وما اتسم به من صلاح ، وما ناله من مكانة ، يتردد على أسماعه من شيوخه الذين هم أصدقاء أبيه أصلاً ، وأخذت نفسه تمتلئ اعتزازاً بأبيه ، وما عرفه عن صلته الوثيقة بالخليفة العباسي المستكفي بالله ، أبي الربيع سليمان بن المتوكل (٨) ، وأنه - أي والده - كان اماماً للخليفة ، وهو الذي كتب له نسخة العهد (٩) ، وللخلفاء العباسيين في القاهرة مكانة جلية في نفس السيوطي (١٠) ، فكانت مكانة والده التي ربما بالغ جلال الدين في تخيلها وتضخيمها واسباغ الأهمية عليها هي القدوة المثلى للجلال ، فاجتمع له بذلك من الاستعدادات الطبيعية والعناية التربوية والتسهيلات العلمية والاجتماعية والوظيفية ما لا يجتمع لغيره الا نادراً ، وهي كلها عوامل ولدت عنده رغبات جامحة الى التفوق ، ولم يكن أمامه من مجال الا العلم ، تدريساً وتصنيفاً ، لذلك رأيناه بعد أن حصل أشياء من العلم ، كحفظ بعض المتون الفقهية وما اليها ، قد بدأ يجرب قلمه في التأليف (١١) ، واستوعبت هذه التجربة حياته كلها وهو يصنف ويكتب ، بحيث يمكننا أن نعدد أسماء كتبه ونقول : هذه سيرة حياته ، لذلك نراه عندما كتب سيرته الموجزة في (حسن المحاضرة) ، وسيرته المبسطة في (التحدث بنعمة الله) يخصص الجزء الأكبر من السيرة لتعداد مؤلفاته ، ويذكرها بتباهٍ وفخر ، ويقول : هذا عدا ما غسلته ورجعت عنه . فالحياة عنده هي التصنيف في ضروب المعرفة التي أحاط بها خبراً ، كالتفسير والحديث والفقه والتاريخ والنحو والمعاني والبديع وما اليها مما يدور في فلكها . وكان جلال الدين قد رسّخ العلوم الأساسية في ذهنه بحفظه للمتون التي تضبط أصول العلم على طريقتهم في ذلك العصر ، (احفظ المتون تجمع لك الفنون) ، فبعد أن ملأ صدره بالقرآن الكريم قام بحفظ عدة متون ، فحفظ (عمدة الأحكام) (١٢) و (منهاج النووي) (١٣) و (ألفية ابن مالك) (١٤) و (منهاج البيضاوي) (١٥) ، وقال : انه عرض المتون الثلاثة الأولى عام (٨٦٤ هـ) على شيخ الاسلام ،

علم الدين البلقيني^(١٦) وعلى شيخ الاسلام شرف الدين المناوي^(١٧) ، وعلى قاضي القضاة ، عز الدين الحنبلي^(١٨) ، وعلى شيخ الشيوخ ، أمين الدين الأقصري^(١٩) .

واني لا أستبعد أن يكون جلال الدين قد حفظ كل هذه المتون ، فمن أتم حفظ القرآن في الثامنة كان على اتمام حفظ هذه المتون في الخامسة عشرة أقدر ، ومن سار هذه السيرة المباركة في طلب العلم كان جديراً أن تتفتح أمامه سبله لا جهة ميسرة ، ولا سيما أن عيوناً ترعاه ، وقلوباً تحنو عليه ، واخواناً لوالده ما زالوا على العهد ، يأخذون بيده ويقيلون عثراته . وفي هذا العام نفسه (٨٦٤ هـ) أجاز جلال الدين بحفظ ألفية ابن مالك ، وفي العام التالي قرأها قراءة دراية من أولها الى آخرها على الشيخ محمد بن موسى الحنفي^(٢٠) ، وأجاز بالافتاء والتدريس عام (٨٦٦ هـ)^(٢١) ، وكان يحضر عدة مجالس علم في اليوم الواحد ، ويقرأ على عدة شيوخ^(٢٢) ، حتى ليخيل الى الناظر في سيرته أن الرجل لا يكاد ينام ، وخاصة أنه شرع يكتب مسودات لبعض التصانيف ، فقد كتب شرحاً منشوراً للأجرومية ، أتبعه بشرح منظوم ، وشرح كتاب الجمل للزجاجي ، ووضع شرحاً على الكافية الكبرى لابن مالك^(٢٣) . . . الخ ، ثم غسل كل ذلك ، وربما كان يجرب مقدرته على التصنيف ويدرب قلمه على التأليف ، ولا شك أن همته كانت تمور بالمطامح ليكون مؤلفاً يذكره التاريخ في أعلام رجاله ، وليكون في المستقبل حديث الكتب ، كالشيوخ الذين يقرأ كتبهم . وتدل أسماء مؤلفاته التي غسلها^(٢٤) على توجهاته ، وعلى الطريقة التي سيتبعها في التأليف ، وهذه المؤلفات أنبأت أنه سيتجه اتجاهات علماء عصره ، الى وضع الحواشي ، والى وضع المتن وشرحه ، والى جمع الكتب وترتيب موادها ، والى اختصار الكتب الكبيرة ، وهكذا . . .

وتابع جلال الدين قراءة الفقه من شوال عام (٨٦٥ هـ) ، ولزم دروس شيخه قاضي القضاة ، علم الدين صالح البلقيني ، وكان يقرأ من كل كتاب قسماً أو قطعة ، والفقه هو العلم الذي يؤهل صاحبه للافتاء والقضاء ، ويمنحه امتيازاً في المجتمع ، ولم يلبث جلال الدين ، كما قدمنا ، أن أجاز ، وهو في السنة الثامنة عشرة عمره ، وتأهب لشغل منصبه مكان أبيه ، مدرساً للفقه بالجامع

الشيخونى ، ودعا شيخ الاسلام البلقينى ليحضر عنده في أول يوم تشريعاً ، واحتفل جلال الدين بدرسه الأول احتفالاً كبيراً ، وأعدّ له عدته ، وكانت نفسه مفعمة بالرهبة من جلال الموقف ، خاصة أن بعض الناس ممن حوله كذبوه لما أخبرهم بنية شيخ الاسلام حضور درسه ، قال (فلم يصدق أكثر الحسدة) (٢٥) . . . وذهب الجلال وزار مقام الامام الشافعى (٢٦) ، وتوسل به ودعا ربه أن يأخذ بيده .

وفي يوم الثلاثاء ، التاسع من ذي القعدة عام (٨٦٧ هـ) حضر شيخ الاسلام البلقينى ، ومعه نفر من الشيوخ ، وجمهور من طلبة العلم ، وأضاف السيوطى أن فيهم جمهوراً من الحسدة ، ليشهدوا أول درس لجلال الدين . . . ولم يكد السيوطى لأنشاد خطبة أو تجهيز كلمة ، بل وجد أن من أصلح الطرق وأرضاها الشيخ الاسلام ومن معه أن يفتتح درسه بخطبة الامام الشافعى التى صدر بها كتابه العظيم « الرسالة » (٢٧) ، وهى خطبة اشتملت نفيس الكلام ويدب القول ، وصيغت بأسلوب رائع وعبارة معجبة بليغة ، فلا بدع أن كانت تحفظ وتفتتح بها الخطب والدروس ، لذلك سار السيوطى على سنن شيخه البلقينى ، الذى سار بدوره على سنن أبيه وأخيه في الافتتاح بها . . . ولم يحدثنا جلال الدين عن وقع درسه في نفوس الحاضرين ، ويبدو أنه كان راضياً عما قدمه بين يدي شيخه ، شيخ الاسلام .

ولم ينقطع جلال الدين عن نظامه الصارم في طلب العلم ، وحضور مجالس الشيوخ ، وكان درسه الأول كان مجرد إشعار بكونه مجازاً ، ثم تابع الطلب والاشتغال على نفر من علماء العصر ، كقاضي طرسوس علاء الدين (٢٨) ، وشيخ الاسلام شرف الدين أبى زكريا يحيى بن محمد المناوى (٢٩) قاضي القضاة ، وسيف الدين محمد الحنفى (٣٠) . . . ولزم دروس الشيخ محيي الدين محمد بن سليمان ابن سعد بن مسعود الكافيجي (٣١) ، الحنفى الرومى ، ولازمه أربعة عشر عاماً ، أخذ عنه فيها الفنون قراءة وسماعاً من تفسير وحديث وأصول فقه وعربية ومعان ، وسمع عليه (الكشاف) وحواشيه وكذلك المغنى لابن هشام ، واستفاد من شيخه كثيراً ، قال : (ما دخلت اليه يوماً من الأيام الا استفدت منه ما لم أسمعته قبل ذلك من نفائس التحقيقات الجليلة) (٣٢) ، وقد أجاز الكافيجي السيوطى بتدريس سائر الفنون وقرره مدرساً للحديث بالشيخوخة بعد وفاة الفخر المقيسى (٣٣) .

كان الكافيجي المذكور من كبار علماء عصره بالمعقول ، وحاول أن يدفع بمريده السيوطى في طريق علوم المعقول ، فطلب منه أن يشرح له كتابه (أنوار السعادة في علوم الكلام) ، وحاول ذلك جلال الدين ، لكنه أحجم عن الخوض في

هذا العلم ، فاعتذر من شيخه ، وقيمة هذا الخبر أنه يدل على انصرافه عن علوم المعقول ، هذا الانصراف الذي لم يلبث أن تحول الى عدا من غير ما سبب مقنع ، وكانت ثمرته أن ألف كتابه (صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام) (٣٤) ، وكأني بالعلوم النقلية من حديث وفقه وما إليها قد استغرقت السيوطي كلياً ، فلم يتقبل ذهنه ذلك الضرب من العلوم العقلية ، كالمنطق وعلم الكلام ، مع أن كبار الشافعية ممن يعدهم السيوطي ، وبهم يأتسي ، كانوا من علماء الكلام والمنطق الى جانب الفقه وأصوله . ولا يذهبن بنا الظن الى أن السيوطي تفرغ للتلقي من شيخه الكافيّجي ، لقد كان يطلب العلم موزعاً في كل اتجاه ، ويقرأ في علم الميقات والطب ، ويلازم الشمنيّ (٣٥) ، ويقرأ عليه الحديث والعربية والمعاني ، كما أنه صنف شرحاً لألفية ابن مالك قرّطه له شيخه ، واستمر ملازماً لشيخه الشمنيّ الى وفاته عام (٨٧٢ هـ) ، ورثاه بأربع قصائد (٣٦) .

ولما كانت الرحلة ولقاء العلماء والرواية عنهم من الأمور الحميدة عند السلف والخلف ، وفيها يجيز العلماء بعضهم بعضاً ، فقد قرّر عزم السيوطي على الرحلة ، واتجه الى مكة المكرمة عام (٨٦٩ هـ) لأداء فريضة الحج ، وألف كتاب (النحلة الزكية في الرحلة المكية) ، وبعد عودته قام برحلة الى دمياط والاسكندرية وأعمالهما ، وصنف كتابه (قطف الزهر في رحلة شهر) ، وجلال الدين لا يهتم بما يهتم به الرحالة عادة ، ولا يذكر مشاهداته ولا يسجل انطباعاته ، فالرحلة عنده كلها سماع وقراءة ورواية واجازة ، وقد مدحه بعض من لقيهم في هذه الرحلة ، وشبهه أحدهم بالشيخ محيي الدين النووي (٣٧) ، وبابن الصلاح الشهرزوري (٣٨) ، وروى السيوطي الأبيات في سيرته معجياً بها (٣٩) ، فرحاً بتشبيهه بهذين العَلَمين .

وعاد جلال الدين الى القاهرة ، ونصب نفسه للتدريس في شوال عام ٨٧٠ هـ (٤٠) ، ويقول : ان الفضلاء قد توافدوا عليه وقرؤوا تصانيفه ، ومنهم من لزمه عشر سنوات ، وأقام بالقاهرة حتى وفاته ، ولم تكن له رحلة الى غير ما ذكرنا ، أي رحلة الحج ثم رحلة دمياط والاسكندرية ، ولا صحة لما أولع الدارسون المحدثون بذكره من رحلات الى الشام والمغرب والتكرور ، وليس لهم من دليل سوى عبارة تصفحت قراءتها وعُرِفَت على يد محقق حسن المحاضرة ، فكانت سبب شيوع وهم كبير ، لا أدري متى سينقطع الدارسون عن ترديده (٤١) .

ومن بداية انصرافه للتدريس شرعت نفسه تحدّثه أن يجدد أموراً يبرّز بها على معاصريه ويبدد بها أقرانه ، فماذا يفعل وهم يعملون جميعاً في مجال واحد ويترقون موضوعات متشابهات ؟ ولم يلبث أن اكتشف درباً للامتياز والتفرد ، فعقد مجلساً لاملاء الحديث ، وكانت مجالس الاملاء (٤٢) قد انقطعت منذ عشرين سنة ، فبدأ السيوطي املاء الحديث عام (٨٧٢ هـ) ، ثم انقطع بسبب الطاعون ، وجدد الاملاء عام (٨٧٤ هـ) وأملى ثلاثين مجلساً ثم انقطع ، وفي هذه المرحلة كان يفتي ، وبدءاً من عام (٨٧١ هـ) ، وستراكم هذه الفتاوى ليجمعها بعد ذلك في مجلدات ثلاثة .

لم أرد الحديث عن مؤلفات الرجل ، ولكن ما من ذلك بدّ ، لأنني أمام رجل تكون مؤلفاته نسيج حياته ، وبها كان يحاول اثبات وجوده وابرار اسمه ، والا فبِمِ نفسٍ عقده لمجلس املاء الحديث سوى أنه كان يريد أن يتشبه بابن عساكر (٤٤) ، وظن الأمر سهلاً ميسراً ، فعقد المجالس وتصدرها ، لكن هذه المجالس لم تلبث أن انقطعت ، وأظن أن السيوطي والناس الذين حضروا ، شعروا بعدم جدوى تلك المجالس التي انتهى أوانها بعد أن كانوا أقبلوا عليها تقليداً للسلف الصالح ، كما أنني لا أستبعد أن يكون كلام السخاوي صحيحاً في هذا المجال ، فقد زعم أن جلال الدين جمع حوله طائفة من العوام بجامع ابن طولون ، وأنه صار يملئ على بعضهم ممن لا يحسن شيئاً (٤٥) ، فان صح هذا ، فانه لا بد قد زهد جلال الدين بمثل هؤلاء المستملين .

وإذا كانت شخصية أبيه قد ملأت نفسه في البدايات ، فانه لم يلبث أن حدد على نحو واع المثل الذي يرنو اليه ويعوّل عليه ، فقد كانت أمنيته أن يصل الى رتبة سراج الدين البلّقيني (٤٦) في الفقه ، وأن يصل في الحديث الى رتبة الحافظ ابن حجر ، فبالغ في قراءة هذين الفنين والاشتغال بهما ، وعندما ذهب للحج شرب ماء زمزم مستعيناً به لأمر منها أن يصل ببركة هذا الماء الى رتبة هذين العلمين في الفقه والحديث (٤٧) .

وأخذ السيوطي يصدر الفتاوى ، يخالف بها الآخرين ، حتى انه خالف فتوى لوالده ، ليثبت أنه مجتهد ومنصف (٤٨) ، وأخذت الأمور تسوء بينه وبين بعض

علماء عصره ، الذين ساء هم كبره واستصغاره لهم ، فكانت الواقعة بينه وبين ابن الكركي (٤٩) ، وبينه وبين الجوجري (٥٠) ، وغيرهم .

وكانت ذات جلال الدين تتضخم مع الزمن ، فلم يبق الأمر عنده مجرد اعتزاز بوالد ينتمي الى العلم ، أو كان اماماً للخليفة ، وانما أصبح ينظر الى الحكام المماليك على أنهم غرباء ، والى العلماء ، وهو على رأسهم ، أنهم هم أولو الأمر الذين تجب طاعتهم ، وتحدث السيوطي على تأبّيه على السلطان وعن رده رسله ، ويؤكد هذا ما حدث به تلميذه عبدالقادر الشاذلي (٥١) ، أنه كان في جامع طولون عندما أتى اليه نقيب الجيش يونس الطويل ، وخاطبه على لسان الملك الأشرف قانصوه (٥٢) بسبب شكوى أهل البيبرسية (٥٣) فيه ، وقال له : كَلِّم السلطان ، فقال الشيخ في الجواب ، وهو متكىء بذراعه الأيمن على وسادته ، وهو في غاية الرياضة ، لم يتحرك ولم يختلج : مالي وللسلطان ، ان كان للسلطان عندي حاجة فليأت الى عندي ، فقال له نقيب الجيش ثانياً من باب الاغلاظ عليه : أجب ولي الأمر ، فقال الشيخ : اسكت والا أنني أفتي بكفرك وضرب عنقك ... من هم أولو الأمر ، أولو الأمر العلماء ... مثلك يخاطبني بهذا الكلام (٥٤) ؟ !

اعتزل السيوطي المناصب ، وتفرغ كلياً للتصنيف بعد هذه الحادثة ، وكانت نفسه قد امتلأت احساساً بأنه سيكون مجدد القرن التاسع ، وأنه سيجدد للناس أمر دينهم ، وكان قلمه يلهم بهذا بين حين وآخر ، وفكرة مجدد القرن تستند الى حديث نبوي ، فحواه أن الله سبحانه وتعالى يبعث لهذه الأمة كل مائة سنة بمجدد ، يجدد لها أمر دينها ، وهذا المجدد يجب أن يكون مجتهداً ، فكان من البديهي أن يبدأ السيوطي بدعوى الاجتهاد ، وهو ادعاء ليس بالسهل في تلك العصور الراكدة المتكورة على نفسها ، اجتماعياً وسياسياً ودينياً ، ومن ادعى الاجتهاد عليه أن يملك أدواته ويظهر معامله ، فكيف تم للسيوطي ادعاء الاجتهاد ، وهل سلم له ذلك ؟

في عام (٨٨٨ هـ) كان للسيوطي جدال مع الشيخ الجوجري ، شمس الدين محمد بن عبد المنعم المولود سنة (٨٢١ هـ) ، وانحرف الجدل ، وتحول الى شجار أو ما يشبه الشجار ، وشرع العالمان الجوجري والسيوطي يطعن أحدهما في الآخر ، فلما استهل عام (٨٨٩ هـ) والأقوال في السيوطي تكثر ، والضجة حوله تكبر ، أثار خصوم السيوطي دعوى الاجتهاد ، ودعوه الى المناظرة ، فرفض بحجة أنه

مجتهد وهم مقلدون ، والمجتهد لا يناظر الا مجتهداً^(٥٥) ، فاشتدت الماثرة عليه ، حتى قدم الشيخ عبدالقادر الطحطوطي^(٥٦) وسمى بالصلح .

لم يكن جلال الدين حتى ذلك الحين قد أعلن ادعاءه الاجتهاد ، وانما كان يذكره في ثنايا بعض رسائله وكتبه ، فلما أشهر خصومه هذا الأمر عدّ ذلك نعمة من الله ينبغي التحدث بها ، ورفع عقيرته بدعوى الاجتهاد في مواضع من كتبه ، وبدعوى التفرد في مقدمات كتب آخر ، وحدد تفرده وسبقه في سبعة علوم تبحر فيها ، وهي : التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبديع ، وزعم أنه وصل في هذه العلوم - سوى الفقه - الى مرتبة لم يصل اليها أحد من أشياخه^(٥٧) . أما كيف حدد السيوطي ذلك ، وكيف قاس مستواه ومستوى شيوخه ، وبأي معيار حدد تفوقه عليهم ؟ فالله وحده أعلم . ولكن يبدو لي أنه كان ينظر الى كتبه التي يصنفها أو يسلمها ، فيراها أكثر من كتب شيوخه . ولا أظن أن له مقياساً غير هذا ، ولا نملك مجادلته فيما ادعاه ، ولم يقتصر ادعاء التبحر والاتقان على تلك السبعة ، وانما هناك علوم آخر اتقانه لها أقل ، كأصول الفقه والجدل والتصريف ، ودونها الفرائض والانشاء والترسل^(٥٨) ، . . . الخ ، وزعم لنفسه أنه بلغ مرتبة الاجتهاد المطلق في الأحكام الشرعية وفي الحديث النبوي وفي العربية ، وقلّ أن تجتمع - كما يقول - صفة الاجتهاد المطلق في هذه الثلاثة لأحد^(٥٩) . ويرى أن هناك من العلماء من وصف بالاجتهاد المطلق ولم يبلغ مرتبته في تلك العلوم التي اجتمع له الاتقان فيها ، فهو يرى أن أولئك المجتهدين ، كأبي اسحاق الشيرازي^(٦٠) ، وأبي نصر بن الصباغ^(٦١) ، وإمام الحرمين^(٦٢) ، وأبي حامد الغزالي^(٦٣) ، كانوا دونه في اجتماع آلة الاجتهاد لهم ، ومع ذلك وسموا بالاجتهاد ، فلم لا يكون مجتهد عصره وقد تجاوزهم ؟

وتسلطت فكرة الاجتهاد والتفرد على ذهن السيوطي ، ونبتت منها فكرة المبعوثية ، وهي أمنية طالما ردها وجهربها في مواضع كثيرة ، وتمنى أن يكون هو المبعوث على رأس المائة ، ليجدد للناس أمر دينهم ، واحتج بما رواه أبو داود في سننه ، والحاكم في المستدرک ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ ، قال : (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها)^(٦٤) ، وراح يعدد مجددی المئات ، فكان أولهم أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز^(٦٥) في رأس

المائة الأولى ، والامام محمد بن ادريس الشافعي^(٦٦) في رأس المائة الثانية ، وأبو العباس بن سُرَيْج^(٦٧) في الثالثة ، وأبو حامد الاسفراييني^(٦٨) أو الأستاذ أبو سهل الصعلوكي^(٦٩) في الرابعة ، وحجة الاسلام أبو حامد الغزالي^(٧٠) في الخامسة والامام فخر الدين الرازي^(٧١) في السادسة ، وتقي الدين بن دقيق العيد^(٧٢) في السابعة ، وسراج الدين البلقيني^(٧٣) أو ناصر الدين بن بنت الميلى الشاذلي^(٧٤) ، أو زين الدين العراقي^(٧٥) في الثامنة ، وذلك (لأن تعيين المجدد إنما هو بغلبة الظن ممن عاصره من العلماء بقرائن أحواله والارتفاع بعلمه)^(٧٦) ، ويعقب السيوطي على ما تقدم بقوله : (ونحن الآن في سنة ست وتسعين وثمانمائة ، ولم يجيء المهدي ولا عيسى ولا أشراط ذلك ، وقد ترجى الفقير من فضل الله أن ينعم عليه بكونه المجدد على رأس المائة ، وما ذلك على الله بعزيز)^(٧٧) ، وأخذت هذه الفكرة تتردد في كتبه ، حتى أنه ألف رسالة فيمن يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة ، قال فيها : (إني ترجيت من نعم الله وفضله كما ترجى الغزالي لنفسه أني المبعوث على هذه المائة التاسعة ، لانفرادي عليها بالتبحر في أنواع العلوم ، وقد اخترعت علم أصول اللغة وورثته ولم أسبق اليه ، وهو على نمط علم الحديث وأصول الفقه ، وصارت مصنفاتي وعلومى في سائر الأقطار ، ووصلت الى الشام والروم والعجم والحجاز واليمن والهند والحشة والمغرب والتكرور ، وامتدت الى البحر المحيط ، ولا مشاركة لي في مجموع ما ذكرته)^(٧٨) ، وهذا النص مفيد للاستدلال على أن الرجل أخذ يعبر عن علوم الأمة الاسلامية بعبارة (علومى) ، وكأن هذه العلوم لم تكن قبله ، فكانت به ، وللاستدلال أيضاً على أن الرجل أخذ ينظر الى كثرة مصنفاته وسيورتها على أنها هي التي تؤهله للمبعوثية ، وأخذ ادعاؤه يزداد شراسة ، ففي كتابه (الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف)^(٧٩) يقول : (فان ثم من ينفع أشداقه ويدعي مناظرتي ، وينكر عليّ دعوى الاجتهاد والتفرد بالعلم على رأس هذه المائة ، ويزعم أنه يعارضني ويستجيش عليّ بمن لو اجتمع هو وهم في صعيد واحد ، ونفخت عليهم نفخة صاروا هباء منثوراً)^(٨٠) .

ولا شك أن مثل هذه الشخصية النرجسية المتورمة ذاتياً لم تكن لتلقى من أقرانها القبول، ولم يكن معاصروها ليسلموا لها ما تدعيه ، وخاصة أن عصر السيوطي كان يعج بالعلماء، ومنهم من يفوقه علماً ومعرفة ، والاعتراف بالمبعوثية أمر يقرره الآخرون لا المبعوث نفسه،

فما بالنا وجلال الدين يفرض مبعوثيته وكونه مجدد المائة فرضاً على أقرانه وعلى عصره ، وليس له الا ادعاء التبجر وكثرة المؤلفات ، والتبجر دعوى ادعاها ولم يسلم له بها ، وكثرة مؤلفاته ليست مسلمة له ، لا في عصره ولا في عصرنا ، وان شكوك السخاوي لم تنشأ من فراغ ، ولم تكن من عبث ، وان البحث الجاد في كثير من كتب السيوطي يؤيد شكوك السخاوي ويثبت صحتها ، ويؤكد أن السيوطي كان كثير التبجح والادعاء ، وسأكتفي بضرب أمثلة قليلة .

لنأخذ كتاب (الاقتراح في أصول النحو)^(٨١) ، وهو من الكتب التي تباهى بها السيوطي وادعى فيها التفرد ، فماذا نجد ؟ إننا نجد مقدمة طنانة ، فهو يزعم أن كتابه لم تسمح قريحته بمثاله ، ولم ينسج ناسج على منواله ، في علم لم يسبقه أحد الى ترتيبه - يعني علم أصول النحو - فاذا تركنا المقدمة الى الكتاب فاننا لا نجد للسيوطي أثراً ولا رأياً ، وانما نجد ثمانية عشر فصلاً قد نقلها بتصريحه بذلك من « لمع الأدلة في أصول النحو » للكمال ابن الأنباري ، مضافاً إليها فصول نقلها من الخصائص لابن جنّي ، فأين التفرد وأين الاجتهاد وأين ترتيب هذا العلم الذي لم يسبق إليه ؟

وخذ أيضاً رسالته (البيان في رياضة الصبيان ووجه تأديبهم وتحسين أخلاقهم) نجدها مأخوذة بقضّها وقضيتها من كتاب إحياء علوم الدين للغزالي^(٨٢) .

وخذ أيضاً كتابه (الأرج في الفرج) تجده مأخوذاً بنصه تقريباً من كتاب (الفرج بعد الشدة) لابن أبي الدنيا^(٨٣) .

فلا عجب إذن أن طعن بعض معاصري السيوطي في علمه ، واتهموه بسرقة كتبه من كتب غيره . قال السخاوي (واختلس حين كان يتردد اليّ مما عملته كثيراً ، كالخصال الموجبة للضلال ، والأسماء النبوية ، والصلاة على النبي ، وموت الأبناء ، وما لا أحصره ، بل أخذ من كتب الحمودية وغيرها كثيراً من التصانيف المتقدمة ، التي لا عهد لكثير من المصريين بها في فنون ، فغير فيها يسيراً ، وقدم وآخر ، ونسبها لنفسه ، وهول في مقدماتها ، بما يتوهم منه الجاهل شيئاً مما لا يوفي ببعضه ، وأول ما أبرز جزء له في تحريم المنطق ، جرّده من مصنف لابن تيمية ، وفيها مما اختلسه من تصانيف شيخنا - يعني ابن حجر - : لباب النقل

في أسباب النزول ، وعين الاصابة في معرفة الصحابة ، والنكت البديعات على الموضوعات ، والمدرج الى المدرج ، وتذكرة المؤتسي بمن حدث ونسي ، وتحفة النابه بتلخيص المتشابه ، وما رواه الواعون في أخبار الطاعون ، والأساس في مناقب بني العباس ، وجزء في أسماء المدلسين ، وكشف النقاب عن الألقاب ، ونشر العبير في تخريج أحاديث الشرح الكبير ، . . . ، كل هذه تصانيف شيخنا ، وليته إذا اختلس لم يمسخها ، ولو نسخها على وجهها لكان أنفع ، (٨٤) .

واتهامات السخاوي هذه ينبغي أن يُنظر اليها بتدبر وتأمل ، وأن يعقبها الفحص والمقارنة ، لأنه لا يرسل اتهاماته على عواهنها ، فلها ما يسوغها ، وقد رأينا نماذج مما أتيح لنا فحصه وسبره ، زد على ذلك جرأة السيوطي على ادعاء التأليف في موضوعات نقلية ليس له فيها شيوخ ، فمن الذي أقرأه القراءات وأجازه حتى يصنف شرحاً للشاطبية واللفية في القراءات العشر ؟

لقد ملأت عليه فكرة مجدد المائة أقطار قلبه وعقله ، واستقر لديه أن سبيل التجديد إنما هو كثرة التصنيف ، وحجبته رغبته المتأججة عن أن يرى الآخرين ، بل حجبته عن أن يرى عالماً غيره في عصره ، فأطلق لقلمه العنان ، يجمع طائفة من الأحاديث في التراويح ، فهي إذن كتاب ، ويأخذ مجالس العلماء ويضم بعضها الى بعض ، فيتشكل منها نصف كتاب الأشباه والنظائر النحوية ، ويأخذ كتاب المعرب للجواليقي فيختصره ، فهو إذن مصنف ، وقل مثل ذلك في النهاية في غريب الحديث والأثر ، ومثله في (الباب في الأنساب) وفي غيرها .

ان مؤلفات السيوطي ، حتى تلك التي يدعي فيها التفرد والابداع ، تحتاج الى فحص وسبر وتدقيق ، وان كثيراً من كتبه المهمة يغدو تاريخي القيمة عندما تحصل أصوله بين أيدي الباحثين ، ونكتفي بمثالين ، الأول : الاتقان في علوم القرآن ، والثاني : الاقتراح في علم أصول النحو .

ان الدراسة العميقة نسبياً لنفسية السيوطي ومزاجه لا تكون من كتبه العلمية التي صنفها ، لأنها في جملتها نقول ضمّ بعضها الى بعض لتصبح كتاباً ،

والباحث يعجز أحياناً ، وهو يراجع كتاباً في ألفي صفحة ، أن يجد للسيوطي رأياً ، أو يلمح له شخصية . ان مثل هذه الدراسة انما يجب أن تعتمد مقاماته التي أنشأها ، وظهرت فيها عداواته لأقرانه ، وصرح فيها ببعض مكنونات نفسه ، وظهرت فيها طبيعة تواصله مع مجتمعه ، وأن تعتمد مقدمات كتبه التي ملأها بالادلالات والادعاء ، ومن طرائفه أنه قطع سلسلة كلامه في الأشباه والنظائر النحوية ليطعن أحد معاصريه (هـ) ، وهويعني الامام القسطلاني (٨٦) ، متهماً اياه بسرقة كتابه الخصائص الكبرى ، وهو كتاب في الخصائص النبوية ، ومصادره ومراجعته مبذولة آنذاك ، ولم يكن القسطلاني دون السيوطي في علم الحديث بحال ، حتى يتهم مثل هذا الاتهام .

ولا بد هنا - وقد أشرت الى القسطلاني - من أن أذكر حادثة لها شأنها من الدلالة على عجفية السيوطي وطريقته في التعامل والسلوك مع علماء عصره ، فقد اتهم السيوطي القسطلاني بالأخذ من كتبه ، ووصل الأمر به أن ادعى عليه السيوطي بذلك بين يدي شيخ الاسلام زكريا (٨٧) ، وأراد القسطلاني ازالة ما في خاطر السيوطي عليه ، فمشى اليه من القاهرة الى الروضة ، وكان الجلال معتزلاً الناس بالروضة ، فوصل القسطلاني الى باب السيوطي ودق الباب ، فقال له : من أنت ؟ فقال : أنا القسطلاني ، جئت اليك حافياً ، مكشوف الرأس ، ليطيب خاطرك عليّ ، فقال له : قد طاب خاطري عليك ، ولم يفتح له الباب ولم يقابله (٨٨) .

وهذه الحادثة بليغة الدلالة على كبر السيوطي وزهوه ، وان هذا العمري ليس من صفات مجددي المئات ، فان تجديد أمور الدين ليس حبراً وورقاً وسرقة مصنفات الآخرين ، وان الاجتهاد ليس في مخالفة آراء الآخرين وفتاواهم والرد عليهم في جزئيات لا تقدم ولا تؤخر ، انه ليس في تأريث الخلاف وانما في تأليف القلوب ، والسيوطي كان بعيداً من ذلك كله ، فقد كان من اليسير عليه أن يتناول على أبناء عصره في أمور هي من التفاهة بمكان ، فمن ذلك أنه سئل عام (٨٨٨ هـ) عن قولهم في القنوت (واليك نسعى ونحقد) ، هل هو بالدال المهملة ، أو بالدال المعجمة ، فكتب أنه بالدال المهملة ، فشنع عليه الجاهل - حسب تعبيره - وأتباعه زاعمين أنها بالدال المعجمة ، فكتب السيوطي (فانظروا بالله الى هؤلاء الذين عاشوا في بلاد المسلمين ستين سنة ، وهم يلحنون في قنوتهم وصلاتهم ، ولا يحسنون التلفظ فيها ، ومع ذلك يعتمدون بعمائم الفقهاء ،

ويمدون ألسنتهم للانكار على أساطين العلماء) (٨٩) ، يعني نفسه ، والأمر كله لا يحتاج الى أساطين العلماء ولا الى صغارهم ، انه قضية مبتدئين لا أكثر ولا أقل ، جعل منها السيوطي ذريعة لادعاء العلم والفضل .

ان قضية مجدد المائة والمبعوثية هي المفتاح الذي تدرس من خلاله شخصية السيوطي ، وبوساطتها نفسّر كثرة تصانيفه وحرصه على الاكثار منها وعلى الادلال بعلمه ، وتكثره من الشيوخ وطعنه في علماء عصره ، وكأنه يرغب في حذفهم والغائهم جميعاً ليخلو له في الميدان، وهذا ما أثارهم عليه، وكانت مشاحناته معهم باعثاً آخر من بواعث الاكثار من التأليف ، فاذا كانت رغبته في أن يظهر فقيهاً تحدوه لأن يشرح الروضة أو المنهاج ، فن عداوته للسخاوي دفعته لتصنيف (الكاوي في تاريخ السخاوي) (٩٠)، وكذلك صنف (اللفظ الجوهري في رد خباط الجوجري) (٩١) ، و (الكر على عبد البر) (٩٢) ، وغيرها .

لقد كان جلال الدين ذا حظ عظيم في حياته وبعد وفاته ، وكان لمصنفاته ذبوع في العالم الاسلامي ، في أيامه وحتى أيامنا ، واهتم عشرات العلماء من المعاصرين بكتب السيوطي ، تحقيقاً وضبطاً وشرحاً ، وها نحن اليوم في ندوة حول السيوطي ، ومنذ أشهر كانت هناك ندوة حوله في القاهرة ، وفي دمشق صدر عدد خاص من مجلة التراث العربي حول السيوطي (٩٣) ، وأيضاً صدر عدد خاص من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق عنه (٩٤) ، ولو كنا منصفين لاحتفلنا قبل تسع سنوات بمرور ذمسمائة عام على وفاة السخاوي مثلاً ، ولكن السيوطي رزق هذا الحظ العظيم من الاهتمام الذي لم يتح مثله للامام الشافعي نفسه ولا لأبي حنيفة ومالك وابن حنبل ، أليس هذا من العجب العجاب ؟

ان ما قدمته ليس الا جولة تحليلية في سيرة السيوطي ، رمت الى تبين مفتاح شخصيته ، تلك الشخصية التي هيء لها من الاستعداد الطبيعي والتربية الملائمة لتكون على ما كانت عليه ، وفي مقدورنا اليوم أن ننظر اليه والى أقرانه بعد أن فصلت بيننا وبينهم القرون بعين العدل والانصاف قدر المستطاع ، لنعطي كل ذي حق حقه ، وغير بعيد أن يكون طعن بعض علماء عصره فيه ليس باعثة الحسد ، ولا يسقط طعنهم فيه كونهم متعاصرين ، بل ان في طعنهم من الحق شيئاً ، ربما كان ليس باليسير الهين . .

ان كل ما ذكرته لا يلغى السيوطي ، ولا يحاول الازراء به ، وانما الهدف أن ننظر الى السيوطي نظرة واقعية أو أقرب ما تكون الى الواقع ، وأن نقدّره حق قدره ، وأن ننظر اليه كما ننظر الى الكثيرين من أمثاله ممن نصادفهم في مجالات العلم والمعرفة في أيامنا ، ولا أريد أن أذكر أسماء ، وأن لا نجازف في اطلاق الألقاب عليه دون طائل ، وأن لا ننكرافضله مع ذلك ، فاذا كان السيوطي في معظم آثاره مصنفاً جماعة ، سالخاً كتب غيره ، فانه في الوقت نفسه حفظ لنا في هذه الكتب كثيراً مما ضاع من تراثنا ، أو كثيراً مما كان يصعب العثور عليه حتى وقت قريب .

ثم ان السيوطي كان شاهد عصر ، فمن كتبه التاريخية ، ومن التراجم التي كتبها لمعاصريه ، ومن المقامات التي دبجها نستطيع أن نستشف ونعرف الكثير عن عصر السيوطي وعاداته وتقاليده وأوضاع الاجتماع والعمران فيه .

كما ان السيوطي يعدّ من كتّاب السيرة الذاتية على نحو ما (٩٥) ، صحيح أنه جعل من سيرته الذاتية سجلاً لمؤلفاته وشيوخه ، الا أن تلك السيرة وأعني بها (التحدث بنعمة الله تعد سيرة مهمة ، لأنها تفصح عن نفسه ودخائلها ، ولأن دارس السيرة لا يقرأ السطور ، وانما يقرأ ما وراءها ، وفي ذلك (الماوراء) يجد الباحث متسعاً للقول ، فهو يؤيد أو يشك أو يلمح أو ... وهذا ما يمنح سيرته بُعداً اضافياً ، ولا سيما أن سيرته كتبت بقلمه ، كما أن الآخرين من تلاميذه وخصومه ترجموا له ، وهذا ما يجعل باب المقارنة مفتوحاً على مصراعيه : كيف رأى الرجل نفسه ، وكيف رآه الآخرون ، أو السيوطي في مرآة نفسه ، والسيوطي في مرآة الآخرين .

ومهما يكن من أمر فان صفائر الأمور بددتها دورة الدهر، ولم يبق من كبر السيوطي وزهوه الا الحبر والورق ، وعلاقاته مع خصومه ومحبيه غبرت فيما غبر ، ولم يبق منهم الا عملهم وآثارهم التي عم انتفاع الناس بها الى يوم الناس هذا ، ولا تزال كتب السيوطي وكتب أقرانه كالقسطلاني والسخاوي مرجعاً رجباً للعلماء وميداناً فسيحاً للباحثين ، رحم الله الجميع .

□ الحواشي والاحالات :

- ١ - انظر حسن المحاضرة ١ : ٣٣٥ والتحدث بنعمة الله .
- ٢ - من ذلك ما كتبه عنه تلميذه ابن اياس في بدائع الزهور: ٨٣: ٤ وكتاب تلميذه عبدالقادر الشاذلي (بهجة العابدين بترجمة حافظ العصر جلال الدين) وهو قيد التحقيق ان شاء الله . وانظر ايضا الضوء اللامع ٤: ٦٥٠ وشذرات الذهب ٨: ٥١٠ . والبدر الطالع : ٣٢٨ ، وتاريخ انور السافر للعيدروس : ٥١ .
- ٣ - انظر مقدمتنا لكتاب الاشياء والنظائر النحوية ، ط مجمع اللغة بدمشق ١٩٨٥ ، ومقالتنا في مجلة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة : الامام جلال الدين السيوطي ، وفن السيرة الذاتية - المجلد ٣٤-١٩٩٠ . ومقالتنا في مجلة اللغة العربية بدمشق : الامام جلال الدين السيوطي : سيرة مختصرة ، المجلد ٦٧ ، العدد ٤ . ومقالتنا في مجلة عالم الكتب بالرياض : فهرس مؤلفات السيوطي المطبوعة ، مجلد ١٢ ، العدد الاول ١٩٩١ .
- ٤ - حسن المحاضرة ١/ ٣٣٦ .
- ٥ - كمال الدين بن الهمام : محمد بن عبدالواحد بن عبدالحميد ٧٩٠-٨٦١ هـ ، كان علامة محققا جديدا نظارا ، حسن المحاضرة ، ١/ ٤٧٤ .
- ٦ - الشيوخونية : مدرسة انشأها الامير شيغو العمري سنة ٧٥٦ هـ وتعرف بجامعة شيغو ، المخطوط التوفيقي ٨/ ٦ .
- ٧ - هو ابو بكر الغضيري السيوطي ، كان من اهل العلم والمعرفة ، وولي قضاء اسيوط قبل قدومه الى القاهرة ، فلما قلما اخذ عن علمائها وقرأ عليهم ، وبلغ في صناعة التوقيع النهاية ، انظر ترجمته في: حسن المحاضرة ١/ ٤٤١ ، ونظم العقيان ٦٥ .
- ٨ - سليمان بن المتوكل المستكفي بالله ، ترجم له السيوطي في تاريخ الخلفاء ، ٥١١ وما بعدها ، وقال فيه : وما اظن انه وجد على ظهر الارض خليفة بعد آل عمر بن عبدالعزيز اعبد من آل بيت هذا الخليفة ، ولي الخلافة عام ٨٤٥ هـ ، وتوفي عام ٨٥٤ هـ .
- ٩ - انظر نسخة العهد في تاريخ الخلفاء للسيوطي ٥١١ .
- ١٠ - انظر ما كتبه عنهم في تاريخ الخلفاء ٤٧٧ وحسن المحاضرة ٥٢: ٢ وما بعدها وخاصة ص ٩٤ .
- ١١ - في حسن المحاضرة ١/ ٣٣٧ انه الف عام ٨٦٦ شرحا للاستعاذة والبسملة .
- ١٢ - هناك عدة كتب بهذا العنوان ، أحدها في الفروع لابن قدامه الحنبلي ٦٦٠ هـ ، والثاني في الحديث لابن دقيق العيد ت ٧٠٢ هـ ، واطنه يريد هذا الاخير ، انظر كشف الظنون ٢/ ١١٦٤ .
- ١٣ - منهاج النووي هو منهاج الطالبين في مختصر المحرر في فروع الفقه الشافعي للامام محيي الدين يحيى بن شرف النووي ت ٦٧٦ هـ ، انظر كشف الظنون ٢/ ١٨٧٣ .
- ١٤ - الفية ابن مالك هي الخلاصة الالفية التي اختصرها في ألف بيت من مطولته الكافية الشافعية . وابن مالك هو ابو عبدالله محمد بن عبدالله ، ولد ببيان بالاندلس ، وتوفي بدمشق عام ٦٧٢ هـ ، بغية الوعاة ١/ ١٣٠ . وكتابه المشار اليهما منشوران .
- ١٥ - منهاج البيضاوي هو منهاج الوصول الى علم الاصول للمقاضي عبدالله بن عمر البيضاوي ت ٦٨٥ هـ ، كشف الظنون ٢/ ١٨٧٨ .
- ١٦ - علم الدين البلقيني صالح بن شيخ الاسلام سراج الدين ٧٩١-٨٦٨ هـ ، حاصل لواء مذهب الشافعية ، وله مصنفات ، وتولى القضاء الاكبر عام ٨٢٦ هـ ، انظر حسن المحاضرة ١/ ٤٤٤ ، وشذرات الذهب ٧/ ٣٠٧ .
- ١٧ - شرف الدين المناوي يحيى بن محمد ٧٩٨-٨٧١ هـ ، شيخ الاسلام ، قاضي القضاة ، وله تصانيف ، حسن المحاضرة ١/ ٤٤٥ ، وشذرات الذهب ٧/ ٣١٢ .

١٨- عزالدين العنبلي : لأحمد بن إبراهيم بن نصرالله ، قاضي القضاة ٨٠٠-٨٧٦ هـ ، أنظر حسن المحاضرة ١/ ٤٨٤ .

١٩- الأقصائي أمين الدين يحيى بن محمد بن إبراهيم ٧٩٥-٨٨٠ هـ ، انتهت إليه رئاسة الحنفية في عصره ، نظم العقيان ١٧٨ ، وحسن المحاضرة ١/ ٤٧٨ .

٢٠- شمس الدين محمد بن موسى ، إمام الشيعونية ، ورد ذكره في التحدث بنعمة الله ٦٨ ، ٢٣٧ .

٢١- حسن المحاضرة ١/ ٣٣٧ .

٢٢- بهجة العابدين ، ص ١٨-١٩ ، نسخة جستر بيتي ، وفيه : واستمرت بعد ذلك - بعد الاجازة - ملازماً لدروس شيخنا شيخ الاسلام (شرف الدين) ، فلم أنفك الى أن مات ، وكنت أذهب من الفجر الى دروس البلقيني فاحضر مجلسه الى قرب الظهر ، ثم أرجع الى الدسمني فاحضر مجلسه الى قرب العصر ، هكذا ثلاثة أيام في الجمعة : السبت والاثنين والخميس . وكنت أحضر الأحد والثلاثاء عند الشيخ سيف الدين بكرة ، ومن بعد الظهر في هذين اليومين ويوم الأربعاء عند الشيخ محيي الدين الكفيجي .

٢٣- سبقت الإشارة إليها ، ونضيف أنها نشرت بشرح ابن مالك وتحقيق الدكتور عبدالمعتم أحمد هريدي بجامعة أم القرى سنة ١٩٨٢ .

٢٤- بهجة العابدين ، ص ١٧ ، مخطوط جستر بيتي .

٢٥- المرجع السابق ، ص ١٨ .

٢٦- الشافعي محمد بن ادريس ١٥٠-٢٠٤ هـ ، أحد الأئمة الأربعة ، اليه نسبة الشافعي كافة ، ولد في غزة بفلسطين وحمل منها الى مكة وهو ابن سنتين ، وزار بغداد مرتين ، وقصد مصر عام ١٩٩ هـ ، وأقام بها حتى وفاته . أنظر طبقات الشافعية ١/ ١٨٥ .

٢٧- كتاب الرسالة للشافعي ، وهو أول كتاب ألف في أصول الفقه ، قال الشيخ أحمد محمد شاکر : بل هو أول كتاب ألف في أصول الحديث أيضاً . أنظر الرسالة ، المقدمة ١٣ .

٢٨- التحدث بنعمة الله ٢٤١ .

٢٩- سبقت ترجمته في العاشية ١٧ .

٣٠- سيف الدين الحنفي محمد بن محمد بن عمر بن قطلوبغا البكمري ٨٠٠-٨٨١ هـ ، أنظر حسن المحاضرة ١/ ٤٧٨ ، وبغية الوعاة ١/ ٢٣١ ، وشذرات الذهب ٧/ ٢٣٢ .

٣١- الكافي : محمد بن سليمان ، قال عنه السيوطي : أستاذ الدنيا في المعقولات ، ولد قبل سنة ٨٠٠ هـ ، وتوفي عام ٨٧٩ هـ . حسن المحاضرة ١/ ٥٤٩ .

٣٢- التحدث بنعمة الله ٢٤٤ .

٣٣- الفخر المقيس : عثمان بن عبدالله ، من فقهاء الشافعية ، ورد ذكره في عدة مواضع في كتاب التحدث بنعمة الله : ١٠ ، ٩١ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ٢٣٩ ، ٢٤٤ .

٣٤- صون المنطق والكلام ، طبع به مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٤٧ بعناية علي سامي النشار ، وأعاد نشره سنة ١٩٧٠ في مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر .

٣٥- الشمني : تقي الدين ، أبو العباس ، أحمد بن محمد بن محمد بن حسن التميمي الداري ، ٨٠١-٨٧٢ هـ . حسن المحاضرة ١/ ٤٧٤ ، وبغية الوعاة ١/ ٣٧٧ .

٣٦- أنظر التحدث بنعمة الله ٤٣ ، وبهجة العابدين ٢٢ .

٣٧- النووي : سبق ذكره في العاشية ١٣ .

٣٨- الشهرزوري : ابن الصلاح عثمان بن عبدالرحمن ٥٧٧-٦٤٣ هـ ، توفي بدمشق ، أحد الفضلاء المقلمين في الفقه والتفسير والحديث ، وهو صاحب كتاب (معرفة أنواع الحديث) المعروف بمقدمة ابن الصلاح .

٣٩- الأبيات المشار إليها هي للشيخ شمس الدين محمد بن علي العطائي الذي سمع السيوطي وكتب عنه ثم مدحه بقوله:

أرى شباباً ما أرى مثله في العلم والدين معاً والصلاح
تبسم (الثر) به ضاحكاً وافترّ عن درٍ وشهدٍ وراح
شبهته لنا بدا مقبلاً بالشيخ يحيى الدين وابن الصلاح

• انظر التحدث بنعمة الله ٨٤

٤٠- التحدث بنعمة الله ٨٨

٤١- معظم الذين ترجموا له من المعصرين وقعوا في هذا الوهم ، ولا يزالون كذلك ، انظر على سبيل المثال :
المزهر ٦٥٧/٢ ، الاقتراح ص ٨٣ بتحقيق الدكتور محمود فجال ، معترك الاقران ١/١ ز. ومقال عبداللطيف ارناؤوط.
في مجلة التراث العربي بدمشق ، العدد ٥١ ، ص ٥٤-٥٥ ، وغير هؤلاء كثير .

٤٢- وكان ذلك بالجامع الطولوني ، وهو جامع كان بناه احمد بن طولون ، بدأ بناءه عام ٢٦٣ هـ ، وفرغ منه عام ٢٦٥ هـ ، وانظر خطط المقرئ ١٤٢/٣ ، وحسن المعاصرة ٢/٢٤٦ ، والتحدث بنعمة الله ٨٨ .

٤٣- ابن عساکر : علي بن الحسن بن هبة الله ، محدث الديار الشامية ، ومصنف تاريخ دمشق ، ٤٩٩-٥٧١ هـ ، انظر طبقات الشافعية الكبرى ٤/٢٧٣ .

٤٤- ابن حجر السقلائي احمد بن علي ٧٧٣-٨٥٢ هـ ، مولده ووفاته بالقاهرة ، كان حافظ الاسلام في عصره .
البدر الطالع : ١/٧٩ ، نظم العقيان ٤٥ .

٤٥- الضوء اللامع ٦٦/٤ ، والشيخ شمس الدين السغاوي محمد بن عبدالرحمن ، ولد عام ٨٣١ هـ ، وتوفي عام ٩٠٢ هـ ، وترجمته في تاريخ النور السافر ١٨ .

٤٦- سراج الدين البلقيني: عمر بن رسلان ٧٤٢-٨٠٥ هـ ، أبو حفص سراج الدين مجتهد حافظ للحديث ، ولد في بلقينة بمصر وتعلم بالقاهرة ، ولي قضاء الشام سنة ٧٦٩ هـ وتوفي بالقاهرة .

٤٧- بهجة العابدين ٢٣ .

٤٨- التحدث بنعمة الله ٢٠ وما بعدها .

٤٩- ابراهيم بن عبدالرحمن الكركي الأصل ، القاهري المولد ، ولد سنة ٨٣٥ هـ وتوفي ٩٢٢ هـ ، تاريخ النور السافر ١٠١ .

٥٠- الجوجري شمس الدين محمد بن عبدالمنعم ٨٢١-٨٨٩ هـ ، من فقهاء الشافعية بمصر ، الضوء اللامع ٨/١٢٣ ، البدر الطالع ٢/٢٠٠ ، وانظر مقامات السيوطي ١/٣٩١ .

٥١- عبدالقادر بن محمد بن احمد الشاذلي ، تلميذ السيوطي ، ومصنف كتاب (بهجة العابدين بترجمة الشيخ جلال الدين ، توفي بعد سنة ٩٤٥ هـ ، ففي كتابه بهجة العابدين ص ٩١ ، نسخة جستر بيتي) ذكر حادثة وقعت سنة ٩٤٦ هـ ، وهذا أصبح مما ذكره الزركلي في الاعلام ٤/٤٣ من أن وفاته كانت عام ٩٣٥ .

٥٢- قانصوه السلطان الغوري بن عبدالله الجركسي ، يوبع بالسلطة يقلعة الجبل بالقاهرة سنة ٩٠٥ هـ ، هزم أمام السلطان سليم العثماني وقتل في مرج دابق قرب حلب سنة ٩٢٢ هـ ، انظر در الحبيب - ج ٢ ، ق ٤٥/١ برقم ٣٨١ ، والبدر الطالع ٢/٥٤ ، وشذرات الذهب ٨/١١٣ ، والاعلام ٥/١٨٧ .

٥٣- البيبرسية : بناها الملك المنظر ركن الدين بيبرس قبل أن يلي السلطنة سنة ٧٠٦ هـ ، انظر خطط المقرئ ٣/٤٠٤ ، وحسن المعاصرة ٢/٢٦٥ ، والخطط التوفيقية ٤/٩٨ .

- ٥٤- الخبر في بهجة العابدين ٦١-٦٢ .
- ٥٥- التحدث بنعمة الله ١٩٣ .
- ٥٦- التحدث بنعمة الله ١٩٤ .
- ٥٧-٥٨-٥٩ - المرجع السابق ٢٠٣ وما بعدها .
- ٦٠- أبو اسحاق الشيرازي ابراهيم بن علي العلامة ، المناظر ٣٩٣-٤٧٦ هـ ، انظر طبقات الشافعية الكبرى ٨٨/٣ ، ومقدمة الدكتور احسان عباس لكتاب الشيرازي - طبقات فقهاء الشافعية .
- ٦١- أبو نصر بن الصباغ : عبد السيد بن محمد ٤٠٠-٤٧٧ هـ . طبقات الشافعية الكبرى ٢٣/٣ ، ونكت ابيهم ١٩٣ .
- ٦٢- إمام الحرمين : عبد الملك بن عبد الله الجويني أبو المعالي ٤١٩-٤٧٨ هـ ، طبقات الشافعية الكبرى ٢٩٩/٣ .
- ٦٣- الغزالي أبو حامد محمد بن محمد ، حجة الاسلام ٤٥٠-٥٠٥ هـ ، طبقات الشافعية الكبرى ، ١٠١/٤ .
- ٦٤- ذكر السيوطي في الجامع الصغير ١/١٢٥ ان هذا الحديث حديث صحيح .
- ٦٥- عمر بن عبدالعزيز أمير المؤمنين ، من خلفاء بني أمية ٦١-١٠١ ، بويغ بالخلافة سنة ٩٩ هـ ، انظر تهذيب التهذيب ٤٧٥/٧ ، وتاريخ الخلفاء ٢٢٨ .
- ٦٦- سبق ذكره في العاشية ٢٦ .
- ٦٧- أبو العباس بن سريج : احمد بن عمر ٢٤٩-٣٠٦ هـ ، فقيه الشافعية في عصره ، طبقات الشافعية الكبرى ٨٧/٢ .
- ٦٨- أبو حامد الاسفراييني : احمد بن محمد ٣٤٤-٤٠٦ هـ ، طبقات الشافعية الكبرى ٢٤/٣ .
- ٦٩- الصعلوكي سهل بن محمد بن سليمان ت ٣٨٧ . الاعلام ١٤٣/٣ .
- ٧٠- أبو حامد الغزالي ، انظر العاشية ٦٣ .
- ٧١- فخر الدين الرازي : محمد بن عمر ٥٤٤-٦٠٦ هـ صاحب التفسير ، طبقات الشافعية الكبرى ٢٣/٥ .
- ٧٢- ابن دقيق العيد : محمد بن علي ٦٢٥-٧٠٢ هـ ، الاعلام ٢٨٣/٦ .
- ٧٣- سراج الدين سبق ذكره في العاشية ٤٦ .
- ٧٤- ناصر الدين بن الميلى القاضي القضاة محمد بن عبد الدائم ٧٣١-٧٩٧ هـ ، حسن المحاضرة ١/٥٢٧ .
- ٧٥- زين الدين العراقي أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين المعروف بالحافظ العراقي ٧٢٥-٨٠٦ هـ ، توفي بالقاهرة .
- الضوء اللامع ١٧١/٤ .
- ٧٦- التحدث بنعمة الله ٢٢٥ .
- ٧٧- المرجع السابق ٢٢٧ .
- ٧٨- عن مقدمة نظم العقيان التي كتبها الدكتور فيليب حتى .
- ٧٩- المرجع السابق .
- ٨٠- المرجع السابق .
- ٨١- الاقتراح في أصول النحو وجدله ، طبع في الهند مرتين ١٣١٠ هـ و ١٣٥٩ هـ ، ونشر بحلب مصوراً عن طبعة الهند ، ثم نشر في القاهرة بتحقيق احمد محمد قاسم ١٣٩٦ هـ ، وفي كلية الآداب باستانبول بتحقيق احمد صبحي فرات ، ثم نشر بتحقيق الدكتور محمود فجال في السعودية ، وصدر عن مطبعة الثغر ١٤٠٩ هـ ، ونشر الدكتور فجال ايضاً : الاصباح في شرح الاقتراح من تأليفه بدار القلم بدمشق ١٤٠٩ هـ .
- ٨٢- لمع الأدلة . حققه الاستاذ سعيد الافغاني ونشرته الجامعة السورية بدمشق ١٩٥٧ مع كتاب الاغراب في جلد الاغراب .
- ٨٣- انظر مقال الدكتور عدنان درويش (اتهام الجلال السيوطي) في مجلة التراث العربي - العدد ٥١-١٩٩٣ ، ص ٩٠ وما بعدها .

٨٤- تبين لنا هذا من مقارنة مخطوط كتاب السيوطي بكتاب ابن أبي الدنيا المطبوع بدار البشائر بدمشق ١٩٩٢ بتحقيق ياسين محمد السواس ، وابن أبي الدنيا هو الامام أبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي الدنيا القرشي البغدادي ٢٠٨-٢٨١ هـ .

٨٥- الضوء اللامع ٦٥/٤ وما بعدها .

٨٦- الأشباه والنظائر النحوية ٦٥٥/١ باب الفروع هي المحتاجة الى العلامات ، طبع مجمع اللغة العربية بدمشق بتحقيقي مع زملائي ١٩٨٥-١٩٨٧ .

٨٧- القسطلاني احمد بن محمد ٨٥١-٩٢٣ هـ ، توفي بالقاهرة ، انظر تاريخ النور السافر ١٠٦ .

٨٨- هو شيخ الاسلام كريا الانتصاري ٨٢٤-٩٢٥ هـ ، انظر ترجمته في نظم العقيان ١١٣ ، وتاريخ النور السافر ١١١ ، والحادثة المشار اليها في تاريخ النور السافر ١٠٧ .

٨٩- تاريخ النور السافر ١٠٧ .

٩٠- التحدث بنعمة الله ١٨١ .

٩١- انظر مقامات السيوطي : مقامه الكاوي في تاريخ السغاوي ٩٣٣/٧ .

٩٢- التحدث بنعمة الله ١٢٥ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٨ .

٩٣- التحدث بنعمة الله ١٢٥ ، ١٩٩ .

٩٤- التراث العربي - العدد ٥١ ، شوال ١٤١٣ ، نيسان ١٩٩٣ ، دمشق .

٩٥- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، المجلد ٦٧ ، العدد الرابع ١٩٩٢ .

٩٦- انظر بحثنا المنشور في مجلة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ، المجلد ٣٤ ، عام ١٩٩٠ ، بعنوان (السيوطي وفن السيرة الذاتية) .

★ ★ ★

□ مراجع البحث :

- الأرج في الفرج ، جلال الدين السيوطي ، مخطوط الظاهرية بدمشق (ضمن مجموع) .

- الأشباه والنظائر النحوية للسيوطي ، تح : عبدالاله نبهان ورفاقه ، طبع مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٥ .

- الأعلام ، خيرالدين الزركلي ، ط ٤ ، بيروت .

- الاقتراح في أصول النحو ، تح : د. أحمد محمد قاسم ، القاهرة ١٩٧٦ .

- البدر الطالع ، الامام محمد بن علي الشوكاني ، مطبعة السعادة ١٣٤٨ هـ ، القاهرة .

- بغية الوعاة ، جلال الدين السيوطي ، تح : محمد أبي الفضل ابراهيم ، القاهرة .

- بهجة العابدين بترجمة حافظ العصر جلال الدين ، عبدالقادر الشاذلي ، مصورة عن مخطوطة جستر بيتي .

- تاريخ الخلفاء ، جلال الدين السيوطي ، تح : محمد يحيى الدين عبدالحيد ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ١٩٦٩ ، ط ٤ .

- تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر ، محيي الدين عبدالقادر العيدروسي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٥ .
- التحدث بنعمة الله ، جلال الدين السيوطي ، تح : الزاوي ماري سارتي ، القاهرة ١٩٧٢ .
- التراث العربي (مجلة) ، العدد ٥١ ، نيسان ١٩٩٣ .
- تهذيب التهذيب ، ابن حجر العسقلاني ، دار صادر ، بيروت .
- جلال الدين السيوطي ، بحوث ألقيت في ندوة القاهرة ١٩٧٦ ، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٨ .
- حسن المحاضرة ، جلال الدين السيوطي ، تح : محمد أبي الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٦٧ .
- خطط المقرئ ، المقرئ ، كتاب التحرير ، القاهرة .
- الرسالة ، الامام الشافعي ، تح : أحمد محمد شاكر ، القاهرة ١٩٤٠ .
- شرح مقامات جلال الدين السيوطي ، تح : سمير محمود الدروبي ، مؤسسة الرسالة ١٩٨٩ ، بيروت .
- شذرات الذهب ، ابن العماد الحنبلي ، نشر القدسي ، القاهرة ١٣٥١ .
- الضوء اللامع ، السخاوي ، منشورات مكتبة الحياة ، لبنان .
- طبقات الشافعية الكبرى ، تاج الدين السبكي ، الحسينية بالقاهرة ١٣٢٤ هـ .
- طبقات الفقهاء ، أبو اسحاق الشيرازي ، تح : د. احسان عباس ، دار الرائد العربي ، بيروت ١٩٨١ .
- عالم الكتب ، مجلة ، المجلد ١٢ ، العدد الأول ١٩٩١ ، الرياض .
- الفرج بعد الشدة ، ابن أبي الدنيا ، تح : ياسين محمد السواس ، دار البشائر ، دمشق ١٩٩٢ .
- كشف الظنون ، حاجي خليفة ، طبعة مصورة في مكتبة المثنى ببغداد .
- لمع الأدلة في أصول النحو ، ابن الأنباري ، تح : سعيد الأفغاني ، الجامعة السورية ١٩٥٧ ، دمشق .
- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، المجلد ٦٧ ، العدد الرابع ١٩٩٢ .
- مجلة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ، المجلد ٣٤ - ١٩٩٠ .
- نظم العقيان في أعيان الأعيان ، جلال الدين السيوطي ، تح : د. فيليب حتى ، نيويورك ١٩٢٧ .
- نكت الهميان ، صلاح الدين الصفدي ، بعناية أحمد زكي ، المطبعة الجالية بمصر ، ١٣٢٩ هـ - ١٩١١ م .